الفصل الرابع والعشرون

سدّدْ ديونك

إن لم تكونوا أمناء في ما هو للغير، فمن يعطيكم ما هو لكم؟

لوقا 16، 12

من المؤسف أن الديون في العشرين سنة الأخيرة باتتْ أمراً مقبولاً اجتماعياً. كان الناس فيما مضى يدّخرون لشراء شيءٍ ما. واليوم انقلبت الأحوال. إذا أردنا اقتناء شيءٍ ما، نشتريه، وندفع ثمنه لاحقاً ـ إضافةً إلى فوائد القرض. لا شك في أن ثمن هذا السلوك الاستهلاكي مرتفع، ولا أقصد هنا الفوائد فقط. الديون تسبّب الكرْب. ربما كنتَ معتاداً على العيش مع الديون إلى حد أنك لم تعدْ تلاحظ حجم الكرْب الذي تسبّبه. ولن تعرف مدى الارتياح الذي يعنيه البراء من الديون إلاّ عندما تتحرّر منها فعلاً.

بعد انتهاء دراستي كنت أكسب أكثر من والديّ، وشعرت لأول مرة في حياتي أنني ميسورة الحال حقاً. وبعد شيءٍ من الوقت كان لديّ خمس بطاقات ائتمان مختلفة كانت جميعاً مدينة. وكانت فواتيري تزداد أسبوعاً بعد أسبوع. ولم أعد أجرؤ قط على فتح حسابات، إذ كانت من حيث المبدأ أعلى من المتوقّع. ولم يتّضح لي مدى الكرْب الذي سبّبه لي هذا إلاّ بعد أن سدّدت جميع ديوني. وعندما أستعمل اليوم بطاقة ائتماني، أسدّد الحساب الإجمالي في الشهر ذاته.

لا تسبّب الديون كرْباً وحسب، بل تستنزف طاقةً بغير موجب. الأمر الذي يعيقك بدوره عن اجتذاب الآخرين والفرص الصحيحة. الديون تُثقِل كاهلك بغير موجب. إحدى زبوناتي، معاونة مدير مصرف، كانت قد راكمتْ ديوناً على بطاقة ائتمانها بلغت عدة آلاف يورو، من غير حتى أن تفكّر في ذلك. ولم تكتشفْ أنها

دفعتْ ثمن هذه الديون غالياً جداً إلاّ في إحدى حلقاتي الدراسية. بُعَيْد ذلك اتصلتْ بي لتشكرني، وتبيّن لي مدى تحسّن حالها الآن. وجراء هذا التغيير الطفيف بالنسبة لها، شعرتْ بالحافز للتركيز على أمورٍ أخرى أيضاً، كانت تريد القيام بها منذ سنوات، بيد أنها كانت ترجئها المرة تلو الأخرى. فقد اشترتْ أخيراً غرفة نوم جديدة، كانت تتمنّاها منذ زمنٍ طويل، وأعادتْ تصميم شقّتها من الداخل، ولم تأخذْ أيّ قرضٍ لهذا الغرض، إنما لجأتْ إلى مدّخراتها.

إذا لم تكن قادراً على إنجاز ذلك بمفردك، استعنْ بمكتب استشارة الدين، حيث تتلقّى المساعدة، وتوضع لك خطّة مالية، وتُحدَّد مع دائنيك مواعيد تسديد مناسبة. فتوفّر على نفسك الجدال الشخصي معهم، فضلاً عن إمكانية الاتفاق بهذه الطريقة على معدّلات تسديد أقل. عليك الاستفادة من هذا العرْض حتماً في الحالات التي تكون فيها غارقاً في الديون. والسيّئة الوحيدة لاستشارة الدين هي أنك تفوّت على نفسك فرصة تعلّم حاسمة، لا يتعلّم الكثيرون من تجاربهم حتى يتورّطوا حتى أذنيهم.

مع تسديدك ديونك توفّر القاعدة للادّخار في الوقت ذاته. إذ إن ما تعلّمتَه أثناء تسديد ديونك يمكنك الاستفادة منه فيما بعد لخلق احتياطيات مالية. لا تفقدْ همّتك. كلما أسرعت في التحرّر من ديونك، أسرعت في تحقيق الأشياء التي تتمنّاها فعلاً.